جمهورية السودان
جامعة إفريقيا العالمية
كلية التربية بالتضامن مع اتحاد الجامعات الإسلامية في إفريقيا

ندوة التعليم الإسلامي في إفريقيا (2)

(الماضي، الحاضر، المستقبل)

3 - 5 جمادى الأولى 1440هـ - 9-11 يناير 2019م

تحت شعار:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴿١٤٣﴾ ﴾

المجلد الثاني

3 - 5 / جمادي الأولى /1440هـ 9 - 11 يناير 2019م

التعليم الإسلامي في جزر المحيط الهندي

(مدغشقر نموذجاً)

إعداد:

الباحث: روجيلا أوغست ديلهر

المستخلص

◄ تناولت الدراسة دخول الإسلام في مدغشقر، وأهم الطرق التي دخل منها، والمدن التي استقرت بها الدعوة، وأهم مظاهر هذا الانتشار، كما تناولت الدراسة التعليم الإسلامي وأهم أنواعه من خلاوى لتحفيظ القرآن الكريم ومدارس تعليمية مزدوجة تقوم بتدريس المنهج الحكومي، والدروس الإسلامية، وقدمت الدراسة عدة مقترحات وتوصيات تدعم التعليم الإسلامي في مدغشقر، أهمها: تعريف المواطنين بالإسلام عبر الوسائل المختلفة، وإعادة كتابة تاريخ مدغشقر، وتصحيح الافكار التي ينشرها الغرب عن تاريخ الإسلام والمسلمين بالدولة، وبناء المساجد والمراكز الإسلامية في جميع أنحاء الدولة، وأن تقدم المنظمات الإسلامية الكتب بأنواعها المختلفة لدعم التعليم الإسلامي، مع تسهيل المنح الدراسية للطلاب، وعلى الحكومات الإسلامية فتح العلاقات الدبلوماسية مع مدغشقر وانشاء المراكز الثقافية.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه المجاهدين الصادقين المؤمنين المحتسبين الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين...أما بعد:

تعريف مدغشقر: (أو جمهورية مدغشقر) الاسم القديم لها الجمهورية المالاجاشية، هي دولة تتكون من مجموعة جزر في المحيط الهندي قبالة الساحل الجنوبي الشرقي لإفريقيا. الجزيرة الرئيسية، اسمها أيضا مدغشقر، هي رابع أكبر جزيرة في العالم، ويوجد فيها ٥٪ من الأنواع النباتية والحيوانية في العالم، أكثر من ٨٠٪ منها مستوطنة في مدغشقر منها قرود الليمور، والفوسا الحفار آكل اللحوم، وثلاث عائلات من الطيور وستة أنواع من الباوباب.ثلثا سكان مدغشقر يعيشون تحت خط الفقر الدولي (أقل ١,٢٥ دولار في اليوم١)..

الجغرافيا: تبلغ مساحة مدغشقر ٥٨٧٠٠٠ كم مربع، وهي بذلك تكون الدولة السادسة والأربعين من حيث المساحة وهي رابع أكبر جزيرة في العالم. وهي أكبر قليلا من فرنسا، وهي واحدة من ١١ مقاطعة منفصلة في هضبة جنوب إفريقيا. في اتجاه الشرق، تضاريسها عبارة عن جرف حاد يؤدي من المرتفعات الوسطى إلى أسفل داخل شريط من الغابات المطيرة مع ساحل ضيق في أقصى الشرق. قناة بنجلانيس هي سلسلة من البحيرات الطبيعية والصناعية المتصلة بواسطة القنوات التي تمتد بمحاذاة الساحل الشرقي لحوالي ٤٦٠ كم (٢٨٥ ميلاً) (حوالي ثلثي الجزيرة). المنحدر من المرتفعات الوسطى نحو الغرب هو أكثر تدرجا، مع بقايا الغابات الموسمية وسهول الحشائش الشبيهة بـ السافانا) التي كانت في الجنوب والجنوب الغربي، وهي حشائش جافة تشمل النباتات الشوكية الصحراوية والباوباب). على الساحل الغربي العديد من المرافئ البحرية المحمية، ولكن ترسبات الطمي تشكل مشكلة رئيسية سببها الرواسب الناجمة عن المستويات العالية للتآكل في اتجاه اليابس. على قمة تلة

تقع هذه المرتفعات الوسطى، وهي منطقة هضبية تتراوح في الارتفاع بين ٢٤٥٠ إلى ٤٤٠٠ قدم (٧٥٠ إلى ١٣٥٠ متراً) فوق مستوى سطح البحر. تتميز المرتفعات الوسطى بوديان الأرز المدرجة الواقعة بين الجبال الجرداء. هناك التربة الحمراء لاتيرايت التي تغطي جزءًا كبيرا من الجزيرة قد تعرضت للتآكل، والتي تبين بوضوح سبب تسمية هذا البلد باسم «الجزيرة الحمراء». وأعلى قمة في الجزيرة ماروموكوترو على ارتفاع ٢،٨٧٦ متراً، وجدت في كتلة تساراتانانا الصخرية وتقع في أقصى شمال البلاد.كتلة انكارتارا الصخرية تقع في منطقة وسط جنوب العاصمة أنتاناناريفو وبها ثالث أعلى جبل في الجزيرة، تسيافاجوفونا، بارتفاع ٢،٦٤٢ متراً إلى الجنوب تقع الكتلة الصخرية اندرينجيترا وبها قمم عديدة أعلى من ٢،٤٠٠ متراً بما في ذلك ثارني ورابع أعلى القمم في مدغشقر، بيك ايماريفولانيترا، المعروفة على نطاق أوسع بـ بيك بوبي (٢،٦٥٨ متراً)، وقمة بيك بوري (٢،٦٣٠ متراً) قمم أخرى في هذه الكتلة الصخرية تشمل بيك سواندرا (٢،٦٢٠ متراً) وبيك ايفانجومينا (٢،٥٥٦ متراً) كما تحتوي هذه الكتلة أيضا على محمية اندرينجيترا. في أوقات نادرة جدا، تسقط الثلوج على المنطقة في فصل الشتاء نظرا للعلو الشاهق.

هناك فصلان: موسم حار مطير من نوفمبر إلى أبريل وموسم بارد وجاف من مايو إلى أكتوبر. الرياح التجارية الجنوبية الشرقية هي السائدة في البلاد، وقد تواجه الجزيرة أحيانا بعض الأعاصير.

الاقتصاد: الزراعة، بما في ذلك صيد الأسماك والحراجة، هي الدعامة الأساسية للاقتصاد. الصادرات الرئيسية هي البن، والفانيليا (مدغشقر هي أكبر دولة في العالم منتجة ومصدرة للفانيليا، والقرنفل، وقصب السكر، والكاكاو، والأرز، والكسافا والتابيوكا، والفاصوليا، والموز، والفول السوداني والمنتجات الحيوانية. تعتبر الفانيليا ذات أهمية خاصة تاريخيا، ففي عام ١٩٨٥ عندما تحولت الكوكا كولا إلى نيو كوك التي تحتوي على فانيليا أقل تراجع اقتصاد مدغشقر تراجعا ملحوظا، لكنه عاد إلى مستوياته السابقة بعد عودة كوك كلاسيك.[١]

---

١ مدغشقر -- حقائق البلد - خبرات جوواي في السفر

السكان: سكان ملاجاش خليط آسيوي إفريقي، فالعناصر الآسيوية قدمت من الملايو، وأندونيسيا والعناصر الزنجية الإفريقية من زنوج البانتو، وقد اختلطوا بالعرب في جزر القمر، وعرفوا بالسلالة القمرية، ومنهم قبيلة هوفا، وإلى جانب العناصر السابقة هجرات عربية ممثلة في قبيلة الأنتيمور، وتعيش الجماعات الإفريقية على السواحل، بينما العناصر الآسيوية في الوسط والجنوب، ويصل عدد المسلمين حوالي ربع سكان ملاجاش، أي حوالي ٢,٨١٠,٠٠٠ وإن كانت بعض المصادر الإسلامية تقدرهم بـ١٥٪ أي يزيدون على المليون نسمة، ونسبة المسيحيين ٢٥٪، بينما عدد الوثنيين حوالي نصف سكان الجزيرة.

اللغة: اللغة الملغاشية هي مالايو- بولينيزية المنشأ وعادة يتحدث بها في جميع أنحاء الجزيرة. مدغشقر بلد ناطقة باللغة الفرنسية، ويتحدث بها السكان المتعلمون في هذه المستعمرة الفرنسية السابقة. الإنجليزية، وإن كانت لا تزال نادرة، أصبحت أكثر انتشارا، وعام ٢٠٠٣، بدأت الحكومة مشروعا تجريبيا لإدخال تدريس اللغة الإنجليزية في الصفوف الابتدائية في ٤٤ مدرسة، مع أمل تطبيق هذا المشروع على الصعيد الوطني. كثير من مطوعي رابطة السلام يعملون على مواصلة هذا الجهد وتدريب المدرسين. في الدستور الأول عام ١٩٥٨، الملغاشية والفرنسية تم اعتمادهما كلغات رسمية لجمهورية مدغشقر.[٢]

ولم تسجل أي لغات رسمية في دستور عام ١٩٩٢. بدلا من ذلك، اعتبرت الملغاشية اللغة الوطنية، ومع ذلك، فلا يزال العديد من المصادر تدعي أن الملغاشية والفرنسية هي اللغات الرسمية، كما كانت بحكم الأمر الواقع. في نيسان / أبريل ٢٠٠٠، أقام مواطن دعوى قانونية على أساس أن نشر الوثائق الرسمية باللغة الفرنسية فقط كان غير دستوري. المحكمة الدستورية العليا نظرت في قرارها. أن، في غياب قانون اللغة، الفرنسية لا تزال لديها طابع اللغة الرسمية.

في دستور ٢٠٠٧، ظلت الملغاشية اللغة الوطنية في حين أن لغات رسمية أعيد طرحها: الملغاشية، والفرنسية، والإنكليزية. الدافع لإدراج اللغة الإنجليزية هو جزئيا لتحسين العلاقات مع البلدان المجاورة، حيث يتم استخدام الإنجليزية، وتشجيع الاستثمار الأجنبي المباشر.[٣]

---

٢ الملغاشية والفرنسية هما اللغتان الرسميتان لجمهورية مدغشقر «. الدستور، الفقرة الأولى، البند ٢؛ القانون الدستوري رقم ١٤ أكتوبر ١٩٥٨

٣ د، ١٢ نيسان أبريل ٢٠٠٠ HCC/D٢ المحكمة الدستورية العليا في مدغشقر، القرار رقم ٠٣-

الديانة: حوالي ٥٠٪ من سكان البلاد يمارسون الطقوس الدينية التقليدية، والتي تميل إلى التأكيد على الروابط بين الأحياء والأموات. و قبيلة الميرينا تعيش في المرتفعات و يميلون إلى المحافظة على هذه الطقوس. فهم يعتقدون أن الأموات يشاركون الأجداد في الألوهية، وأن الأجداد مهتمون بشكل مكثف بمصير أبنائهم الأحياء. الميرينا والبتسيليو يمارسون عادة دفن فاماديهانا، أو «تسليم الموتى»، ويحتفلون بهذا التواصل الروحي. في هذه الطقوس، يتم إزالة بقايا الضحايا من قبر العائلة، وتلف في أكفان من الحرير الجديد، وتعاد إلى القبر بعد مراسم احتفالية على شرفهم في بعض الأحيان، حيث يتم رفع الجثث وحملها عاليا فوق رؤوس المحتفلين مع الغناء والرقص قبل إعادتها إلى القبر.

على الرغم من الاضطهاد الشائن والإبادة الجماعية للمسيحيين خلال القرن التاسع عشر في عهد الملكة رانافالونا الأولى، حوالي ٤٥ ٪ من سكان مدغشقر اليوم مسيحيون، هذه النسبة مقسمة بالتساوي تقريبا بين الكاثوليك والبروتستانت. العديد من الناس يدمج عبادة الموتى مع معتقداتهم الدينية الأخرى ويباركون موتاهم في الكنيسة قبل المضي قدما في طقوس الدفن. كما أنهم قد يدعون وزيرا مسيحيا لحضور المراسم. الكثير من الكنائس المسيحية مؤثرة في السياسة. وأفضل مثال على ذلك هو مجلس كنائس مدغشقر (FFKM) الذي يتألف من أقدم وأبرز أربع طوائف مسيحية (الروم الكاثوليك، كنيسة يسوع المسيح في مدغشقر، اللوثرية والانجليكية). الإسلام في مدغشقر يشكل حوالي ٧٪ من السكان. التجار العرب والصوماليون المسلمون هم أول من جلب الإسلام في العصور الوسطى، وكان لهم تأثير عميق على الساحل الغربي. على سبيل المثال، العديد من الملغاشيين اعتنقوا الإسلام ولأول مرة تحولت اللغة الملغاشية إلى أبجدية، اعتمادا على الأبجدية العربية، وسميت سورابي. تركز المسلمون في محافظات ماهاجانجا وأنتسيرانانا (دييغو سواريز). ينقسم المسلمون بين العرق الملغاشي، والهنود، والباكستانيين وسكان جزر القمر. وقد ازداد عدد المساجد في المنطقة الجنوبية الشرقية من ١٠ إلى ٥٠ مسجدا في السنوات العشرة الأخيرة. وفي الآونة الأخيرة، اعتنقت عدة قبائل في مدغشقر الإسلام مناسبة واحدة في قبيلة إنتيمور في الجنوب الشرقي حولت ١٧٥٠٠ إلى الإسلام دفعة واحدة.[٤]

٤ مدغشقر وأفريقيا ٣. الأنتيمورو: دولة ثيوقراطية في جنوب شرق مدغشقر، بقلم ر. كينت مجلة التاريخ الأفريقي © ١٩٦٩ ص ٦٢

المبحث الأول:

دخول الإسلام في مدغشقر المستوطنون العرب:

استوطن العرب مدغشقر عندما لجؤوا إليها بعد الحروب الأهلية التي تلت وفاة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم عام ٦٣٢ م. في بداية القرن العاشر أو الحادي عشر قام التجار العرب والزنجباريون بالتواصل مع تجار العاج في الساحل الغربي لمدغشقر. أبرز هذه القبائل هي أنتيمورو وأنتانوسي. الموجة الأخيرة من المهاجرين العرب جاؤوا من المستعمرات الأفريقية الشرقية. استقروا في شمال غرب الجزيرة وتحديدا في مدينة ماجنكا التي كانت أول من جلب فعلا الإسلام إلى الجزيرة.

المهاجرون العرب قليلو العدد بالمقارنة مع الأندونيسيين والبانتو، ولكنهم تركوا انطباعا جيدا. الأسماء المدغشقرية للمواسم والشهور والأيام والقطع النقدية ذات أصل عربي، كما أخذوا عنهم ممارسة الختان، تجميع الحبوب، والأشكال المختلفة من المخاطبة. أنشأ المهاجرون العرب المعروفين باسم أومبياسي المحاكم القبلية المدغشقرية. جلب المهاجرون العرب، معهم نظامهم الأبوي للحكم في الأسرة والعشيرة والذي يختلف عن النظام الأبوي البولينيزي بموجبه حقوق الامتياز والممتلكات تمنح بالتساوي على الرجل والمرأة. أبجدية سورابي تعتمد على الأبجدية العربية لاستخدامها في الكتابة باللغة المدغشقرية وبلهجة أنتيمورو على وجه الخصوص. العرب الذين يعتبرون أنفسهم سكان مدغشقر الأصليين يذكرون أن الجزيرة تم احتلالها من قبل الأندونيسيين.

وقال مصدر ثانٍ: وصل الإسلام إلى جزيرة مدغشقر عن طريق الدعوة التي قام بها التجار والمهاجرون المسلمون إليها من بلاد العرب وفارس، وجزر القمر، فالدعوة الإسلامية وصلتها بالسلم، واعتنقت قبيلة الهوفا الإسلام سنة ستمائة وثمانين هجرية، وذكر أن الجزيرة يحكمها أربعة شيوخ من المسلمين، كما ذكر أن الحروف العربية هي لغة كتابة أهلها. وعندما سيطر البرتغاليون على شرقي إفريقيا غزوا جزيرة مدغشقر في سنة ٩١٣هـ، ودمروا مدن الجزيرة، وخربوها، وقاوم المسلمون هذا بعنف، ووصلتهم نجدات من شبه الجزيرة العربية، ولقد أطلق البرتغاليون على المسلمين اسم المورو، كما

أطلق الأسبان نفس الاسم على مسلمي الفلبين. وزادت الدعوة الإسلامية ازدهارًا بجزيرة مدغشقر عندما انتشر نفوذ آل سعيد في شرقي أفريقيا، وتزوج السلطان سعيد من ملكة جزيرة مدغشقر، وبسط نفوذه على الجزيرة، ولقد أسهم سكان جزر القمر في نشر الإسلام بملاجاش، فهاجر إلى الجزر العديد من القمريين.

وهكذا انتقلت الدعوة الإسلامية إلى مرحلة مزدهرة بمدغشقر، غير أن تشجيع البرتغاليين للبعثات التنصيرية، وقتالهم لأهل الجزيرة، وقربها من مستعمراتهم السابقة موزمبيق عرقل انتشار الدعوة الإسلامية، وعزل المسلمين عن العالم الإسلامي، وعندما ظهرت فرنسا كمنافس لاستعمار الجزيرة، برزت بريطانيا كمنافس آخر، غير أن ملكة الجزيرة (رانا فالونا) اتبعت سياسة عدائية نحو المنافسة الاستعمارية، واستطاعت فرنسا أن تحتل الجزيرة بعد وفاتها في سنة ١٢٦٥هـ - ١٨٦٨م، وشجعت البعثات التنصيرية الكاثوليكية على العمل بمدغشقر، وفرض حصار على الجزيرة فانقطع الاتصال بين مسلمي مدغشقر وإخوانهم، ونتج عن هذا الانقطاع عزلهم، وضعفت اللغة العربية وكانت لغة ملوك مدغشقر، كما ضعفت المعرفة بالإسلام نتيجة انعدام الدعاة، ورجال الدين المثقفين، وسادت الصوفية ودخلت شوائب محلية على الإسلام.

وقال مصدر ثالث: دخل الإسلام إلى مدغشقر في أوائل البعثة النبوية، عندما هاجر عدد من المسلمين الأوائل إلى الحبشة، ليستظلوا بحماية ملك الحبشة النجاشي، كما طلب منهم الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وقد أقر المفكر جورج أمبروف في كتابه «التابو» حول مدغشقر، بأن التأثير العربي والإسلامي في مدغشقر أقدمُ بمئات السنين من التأثير المسيحي.

إلا أن البدايةَ الفعليةَ لوصول المسلمين والعرب إلى مدغشقر، كانت في القرن الثالث عشر الميلادي، عندما بدأ المسلمون بزيارة تلك المناطق لغرض التبادل التجاري، وقد اشترك البحّارة المسلمون من الخليج العربي ومن حضرموت في الهجرات وفي التجارة، وعاشوا أولاً في مستعمرات محددة شمال غرب وشمال شرق مدغشقر.

واعتبارًا من القرن التاسع الميلادي، أقام المسلمون علاقاتٍ بين المناطق الصحراوية في العالم العربي، ومن بينها سيناء وشبه الجزيرة العربية من

جهة، والموانئ الملاجاشية وموانئ جزر القمر من جهة أخرى، وقد لعبت جزر القمر دورًا كبيرًا في المساعدة على تلك الهجرات.

وقد لعب المسلمون دورًا كبيرًا في مدغشقر عندما حمَوها من الغزو البرتغالي؛ حيث حاولت البرتغال احتلالَها سنة ٩١٣هـ، وقاوم المسلمون البرتغاليين وحالوا دون دخولهم الجزيرة.

الطرق التي دخل منها الإسلام:

عند الحديث عن تاريخ وطرق وكيفية دخول الإسلام لمدغشقر تختلف الأقوال؛ فهناك من يرى أنه قديم جدا، وقد أقر المفكر جورج أمبروف في كتابه «التابو» حول مدغشقر، أن التأثير العربي والإسلامي في مدغشقر أقدمُ بمئات السنين من التأثير المسيحي، ولكن يمكن القول أن البدايةَ الفعليةَ لوصول المسلمين والعرب إلى مدغشقر، كانت في القرن الـ ١٣ الميلادي، عندما بدأ المسلمون بزيارة تلك المناطق لغرض التبادل التجاري، وقد اشترك البحّارة المسلمون من الخليج العربي ومن حضرموت في الهجرات وفي التجارة، وعاشوا أولاً في مستعمرات محددة شمال غرب وشمال شرق مدغشقر، كما أقام المسلمون علاقاتٍ بين المناطق الصحراوية في العالم العربي، ومن بينها سيناء وشبه الجزيرة العربية من جهة، والموانئ الملاجاشية وموانئ جزر القمر من جهة أخرى، وقد لعبت جزر القمر دورًا كبيرًا في المساعدة على تلك الهجرات.

في سنة ١٨٢٠م وصل إلى مدغشقر عدد من الإرساليات التبشيرية من لندن وراهبات مار يوسف وراهبات التبشير بالإنجيل ومبشرو البروتستانت الفرنسيون وغيرهم، وبالرغم من هذه الحملات النصرانية التبشيرية فلم يدخل في الدين المسيحي إلا مليون ونصف مليون من أصل السكان البالغ عددهم آنذاك سبعة ملايين، كما وفد مسلمون من الهند الصينية كجنود للمستعمرين الفرنسيين، وكذلك العرب المسلمون الذين وفدوا من اليمن ومن جزر القمر كان لهم الفضل في انتعاش الروح الإسلامية من جديد في مدغشقر ولا سيما في الجهات الشرقية والشمالية منها.

زاد ازدهار الدعوة الإسلامية بجزيرة مدغشقر عندما انتشر نفوذ مملكة آل

بوسعيد العمانية في شرقي إفريقيا، وتزوج السلطان سعيد من ملكة جزيرة مدغشقر، وبسط نفوذه على الجزيرة، كما أسهم سكان جزر القمر في نشر الإسلام في مدغشقر، فهاجر إلى الجزر العديد من القمريين، وهكذا انتقلت الدعوة الإسلامية إلى مرحلة من الازدهار والتوسع، غير أن تشجيع البرتغاليين للبعثات التنصيرية، وقتالهم لأهل الجزيرة، وقربها من مستعمرتهم السابقة «موزمبيق» عرقلا انتشار الدعوة الإسلامية، وساهما في ضرب سياج من العزلة على هؤلاء المسلمين عن العالم الإسلامي.

وعندما ظهرت فرنسا كمنافس لاستعمار الجزيرة، برزت بريطانيا كمنافس آخر، غير أن ملكة الجزيرة (رانا فالونا) اتبعت سياسة عدائية نحو المنافسة الاستعمارية، واستطاعت فرنسا أن تحتل الجزيرة بعد وفاتها في سنة ١٢٦٥هـ - ١٨٦٨م، ثم أعلنت فرنسا استعمارها لمدغشقر في عام ١٨٦٩م، وشجّعت البعثات التنصيرية الكاثوليكية، وفرضت العزلة على المسلمين، وقد كان للمسلمين - البالغة نسبتهم ما يقرب من ٢٥٪ من إجمالي السكان- دورٌ كبير في الجهاد ضدّ الفرنسيين، فقاموا بعِدّة ثورات ضدّ الفرنسيين كان آخرها عام ١٩٤٨م.

نتج عن سياسة العزل والحصار على مدغشقر انقطاع الاتصال بين مسلمي مدغشقر وإخوانهم، ونتج عن هذا الانقطاع بعدهم عن جذورهم، ومن ثم ضعفت اللغة العربية، وكانت لغة ملوك مدغشقر، كما كانت بعض لغاتهم المحلية تكتب بالحرف العربي، كما ضعفت المعرفة بالإسلام نتيجة انعدام الدعاة ورجال الدين المثقفين، وساد التصوف ودخلت شوائب محلية وثنية وغيرها على الإسلام.

المدن التي استقرت بها الدعوة الإسلامية:

مدغشقر كانت دولةً إسلاميةً منذ زمن بعيد، جميع سكانها وملوكها كانوا مسلمين. ولكن بعد الاستعمار الفرنسي الذي استمر أكثر من ٦٤ عاما تغيرت معتقداتها وعاداتها وجميع تصرفاتها إلى الديانة المسيحية. بها ست محافظات و اثنتين وعشرون مقاطعة. دخل الإسلام في منطقتين أساسيتين وهما:

منطقة جنوب شرق (قبائل أنتيمور): تنحدر قبائل الأنتيمور التي تسكن في جنوب شرقي الجزيرة (مناكارا، فوهيبينو) من أصول عربية حجازية، ولكن لم يبقَ لها من الإسلام إلا بقايا قليلة بعد أن تحول بعضها إلى الوثنية وخليط من الديانات التقليدية الإفريقية، وتشير بعض الدراسات العلمية إلى أن أجداد

قبائل الأنتيمور هاجروا من الحجاز قبل حوالي ٨٠٠ سنة، ويلاحظ وجود كلمات ذات أصول عربية إسلامية في لغتهم، فمثلا أسماء أيام الاسبوع عند قبائل الأنتيمور قريبة من أسماء أيام الأسبوع العربية فعندهم: (سابوتسي) يعني السبت، و(أهادى) يعني الأحد، و(اسنين) يعني الاثنين، و(تلاتا) يعني الثلاثاء، و(أربعا) ويعني الأربعاء، و(كميس) ويعني الخميس، و(زومعه) ويعني الجمعة، وأما أسماء الأشهر فهي أسماء البروج العربية مع بعض التحريف مثل: شهر (الحوتسي) أي الحوت، وشهر (الأذراء) أي العذراء، وشهر (الديزان) أي الميزان، وشهر (الأكربو) أي العقرب، وعندهم مئات وربما آلاف الكلمات العربية، كما أنهم يحرّمون أكل لحم الخنزير وتربيته ولا يأكلون إلا ما ذبحوه بالطريقة الشرعية المعروفة، وقد زارهم وفد يهودي من معهد في باريس لأنهم سمعوا أنهم لا يأكلون لحم الخنزير ليتأكدوا مما إذا كانوا يهوداً أم لا، وقد استطاعت الكنيسة عبر عشرات المدارس التي أقامتها من تنصير فئة من المثقفين المتعلمين من الأنتيمور، وهناك الكثير جدا من بقايا الإسلام في تقاليد وطقوس الأنتيمور.

منطقة الشمال الغربي (قبيلة ساكالافا): بعض تجار العرب هاجروا من بلدانهم بغرض التجارة، ووصلوا إلى سواحل إفريقيا مثل تنزانيا و جزر القمر وحتى ساحل شمال غرب مدغشقر. استقر الإسلام في مدينة ماجونغا منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا، بل أصبحت هذه المنطقة يسيطر عليها المسلمون، وكل العادات والتقاليد وبعض اللغات وحتى الملابس والأطعمة ذات أصول عربية وإسلامية. وأثبتت الدراسات حول انتشار الإسلام في مدغشقر أن بعد انتقال بعض المسلمين في هذه المنطقة إلى الشمال، أصبحت المناطق (منطقة الشمال غرب والمنطقة الغربية) كلها مسلمة. وبعد مرور الزمان إلى وقتنا الحاضر، استقر الإسلام وظهر في جميع أنحاء الجزيرة.

المبحث الثاني:

مظاهر انتشار الإسلام:

يروي شيخ الدعوة الإفريقية الراحل الدكتور عبدالرحمن السميط بعض فصول دعوته في مدغشقر بقوله: «قال لي بعض الشيوخ من قبيلة الأنتيمور

في مدغشقر إن أجدادهم قد جاؤوا منذ زمن بعيد من قرية في الشمال اسمها «جدة» وبقربها قرية مقدسة اسمها «مكة» فيها رجل طيب اسمه «محمد» يحبونه ولكن لا يعرفون لماذا؟؟» و يقال إن الحاج عبد العزيز تكورال ... في الليلة التي أسلم فيها رفض أن ينام حتى يحفظ سورة الفاتحة وقُرر إرساله إلى الحج على نفقة أحد المحسنين وعندما عاد إلى قريته أسلم على يديه أكثر من ٨٠ ألف شخص» «والله لقد رأينا أسراً لا يتذكرون متى ذاقوا اللحم في السنوات الماضية وعندما وزعنا عليهم نصيبهم من لحم الأضاحي قالوا لنا : اشكروا المحسنين الذين أرسلوا لنا هذه الأضاحي وجعلونا نذوق اللحم نحن وأولادنا بعد حرمان امتد لسنوات طويلة» إنها عبارات كتبها الراحل الدكتور عبدالرحمن السميط – رحمه الله - مؤسس ورئيس جمعية العون المباشر المتخصصة في العمل بإفريقيا في مذكراته عن العمل في مدغشقر.

ينتشر الإسلام بين القبائل الملاغاشية، خاصة قبيلة أنتيمور في جنوب شرقي الجزيرة، وساكالافا في الشمال الغربي وأنتاكارانا في الشمال. ويقدر عدد المسلمين بحوالي ٣,٨١٠,٠٠٠ نسمة، وينقسم المسلمون إلى قسمين:

١- مسلمون ملاغاشيون، ويتكونون من قبائل الأنتيمور (عرب) والأنتاكاران، والساكالافا، وهوفا وغيرهم...

مسلمون مهاجرون، ومنهم مسلمون من جزر القمر، ومسلمون هنود ومنهم الأفارقة، ومسلمون عرب ومسلمون صوماليون وغيرهم.

هذا العدد يزداد يومياً، وخاصة بعد الجهود الملموسة التي بذلها الطلاب المتخرجون من الدول العربية والإسلامية مثل السعودية ومصر والسودان إلخ... بدأ الناس يفهمون ويشعرون بحلاوة الإسلام ويعيشون بلا خوف أو تردد مع المسلمين جنباً إلى جنب. حكى لنا أحد الإخوة المسؤولون عن برنامج إسلامي عبر التلفزيون الحكومي بأن عدد الذين يتابعون هذا البرنامج ومستعدين أن يعتنقوا الإسلام أسبوعياً لا يقل عن ١٥ شخصاً.

بناء المساجد:

توجد بمدينة تناناريف (العاصمة) مساجد ومراكز تابعة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، ويوجد عدد آخر من المساجد في ميناء تاماناف (شرق الجزيرة)، وفي مدينة ماجونجا جالية عربية كبيرة، وبها أكثر من أربعين مسجدًا،

وبها مجلس أعلى للشؤون الإسلامية، ومن المدن الإسلامية الأخرى أيضاً مثل ديجو توجد أيضا العديد من المساجد، ومنطقة مانتيرانو، وكل المناطق تقريباً توجد فيها مساجد.

خلال السنوات الأخيرة وخاصة في العامين الماضيين، اجتهد المسلمون في بناء عدد كبير من المساجد في جميع المجافظات، وتوضحها الإحصائيات والأرقام التالية:

رقم	محافظة	عدد المساجد
٠١	ماجونغا	١٠
٠٢	أنتاناريفو	٤
٠٣	تاماتاف	١٤
٠٤	توليارا	٩

بناء الخلاوى والمدارس القرآنية:

مدغشقر في أمس الحاجة إلى تعليم القرآن والأمور الدينية، لأن أغلب سكانها يدينون بديانة النصرانية، والمسلمون لا يفهمون الإسلام بصورة صحيحة إلا قليلا منهم. فالخلاوى والمدارس القرآنية لا توجد بكثرة إلا في بعض المحافظات فقط، وحتى الآن ليس هناك أحد من المسلمين يهتم ببناء مثل هذه الخلاوى ولا المدارس القرآنية بسبب فقرهم أو بسبب تكاليفها اليومية أو بسبب آخر لا نعرفه. كان الهنود من جزيرة موريشيوس، هم الذين يُمولون بعض الخلاوى في مدغشقر.

وفي عام ٢٠١٧م الماضي، قرر وزير التعليم إغلاق كل المدارس القرآنية وما يتعلق بالإسلام، ولكن بعد جمع التوقيعات وبعد الضغوط من قِبل المسلمين، تراجع عن قراره مباشرة، وفي النهاية تم فصله من الحكومة. إذاً، الخلاوى توجد فقط في بعض المناطق الآتية:

رقم	محافظة	عدد الخلاوى
٠١	ماجونغا	٢
٠٢	أنتاناريفو	٢
٠٣	تاماتاف	١

٠٤	توليارا	١
٠٥	ديجو	٣

انتشار الزي والملابس الإسلامية في أوساط الرجال والنساء:

انتشر الإسلام في جزيرة مدغشقر في منطقتين أساسيتين، هما: جنوب شرق وشمال غرب. فانتشر الزي والملابس الإسلامية في هاتين المنطقتين منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا. حتى الملاغاشيون الذين يعتنقون ديناً آخر غير الإسلام لا يزالون يحترمون هذه الملابس ويلبسونها في أي مكان وأي مناسبات، ويلومون من يُنكرها أو لا يحترمها. هذه الملابس ليست حجاباً مثل حجاب المرأة في الدول العربية والإسلامية ولكنها طويلة وتغطي جميع بدن المرأة، وهي تسمى: «سالوفانا». أما بالنسبة للرجال فلديهم ملابس خاصة بهم في المناسبات وهذا اللبس رمز للملاغاشيين ولا يلبسونه إلا في المناسبات، وهي تُعرف باسم «مالاباري». هذه الملابس تشبه تماما الجلابية شكلاً وحجماً إلا اللون فقط، لأن لونها خاص ويتوافق مع الألوان الملاغاشية.

انتشار العادات والتقاليد الإسلامية في الزواج وفي المأتم وفي الأعياد وفي الأفراح والمناسبات الدينية المختلفة

العادات الإسلامية لا تزال قائمةً وتُرى في بعض القبائل الملاغاشية، وخاصة العادات والتقاليد التالية:

عند قبيلة أتاندروحي في جنوب مدغشقر، يمتنع الرجل أن يتبول قائماً مهما كانت الأحوال، وهذه العادة مأخوذة تماماً من الإسلام.

لا بُد أن يُختن الرجال قبل سن البلوغ، ويَعتبر الجميع عيباً كبيراً في المجتمع أن تكون رجلاً غير مختون.

تعدد الزوجات أمر سهل ولا بد منه عند قبيلة أتاندروحي، وحتى في بعض القبائل الأخرى. ويحكى أن بعض أو جميع الملوك في قبيلة إيميرينا (في العاصمة) كانوا متزوجين ب ١٢ امرأة، وكذلك جميع الملوك في بعض المحافظات يمارسون تلك العادة بلا استنكار من أي جهة.

ممنوع إدخال الخنازير في جميع قصور الملوك، سواءً في العاصمة أو في المحافظات.

عند دخول قصر الملك، تقدم رجلك اليمنى ثم اليسرى، وكذلك الخروج أيضا تقدم رجلك اليسرى ثم اليمنى.

يُمنع تحضير الخنازير والخمور في المناسبات العامة مثل الزواج والمآتم والأعياد وخاصة في المناسابات الدينة بأنواعها المختلفة.

لا تختلط المرأة مع الرجال في جميع المناسابات وخاصة المناسبات التي لها علاقة بالدين، وتوجد أماكن خاصة للنساء منفصلة تماما عن الرجال.

تلك العادات والتقاليد التي ذكرناها لا يستطيع أحد أن يمسحها من تاريخ جزيرة مدغشقر، حتى الأجانب الذين يحاولون أن يُؤرخوا لمدغشقر لا يستطيعون أن يهملوا أو لا يذكروا هذه الأشياء، وإلا ستكون بحوثهم ناقصة وغير مكتملة.

المبحث الثالث:

التعليم الإسلامي:

ينقسم نظام التعليم في مدغشقر إلى ثلاثة أقسام، هي:

التعليم العام: هو تعليم يختص بالمعلومات العامة، الرياضيات، التاريخ، الجغرافيا، علم النباتات إلخ...

التعليم الديني: لا يتداخل مع التعاليم الأخرى إلا بالأمور الدينية (مسيحية - إسلامية - يهودية)

التعليم المختلط (المزدوج): يختلط بالأمور الدينية وبالمعلومات العامة.

والمسلمون من أهل السنة والجماعة لا يمتلكون المدارس للتعليم إلا في بعض المحافظات فقط. ولكن شيعة مدغشقر هم الذين يُسيطرون على هذا المجال، وهم يمتلكون مدرسة وجامعة خاصة بتعليم عقيدتهم ويأخذون أبناء أهل السنة والجماعة سنوياً، ثم يرسلونهم إلى العراق و إيران بعد تخرجهم من هذه الجامعة.

ب - مدرسة ابتدائية وإعدادية وثانوية ثم الجامعة.

ملاحظة: أغلب الشيعة في مدغشقر هم هنود وتُجار وهم الذين يسيطرون على اقتصاد مدغشقر، لذلك يمتلكون كل شيء وخاصة في مجال التدريس ووسائل الإعلام وغيرها...

- أهل السنة والجماعة لديهم بعض المدارس والمعاهد الإسلامية، لكنها غير

رسمية، أي غير مسجلة في الحكومة. وفي السنوات الأخيرة، منذ عام ٢٠١٤ إلى وقتنا الحاضر، سعى بعض رجال أهل السنة والجماعة إلى بناء مدارس ومراكز ومستشفيات وغيرها في جميع المحافظات وبعض المناطق التي لها أهمية أو نقطة استيراتيجية في الجزيرة. وهذه الجهود لم تتم إلا بعد التعامل والدعم من المنظمات الإسلامية في الدول العربية والإسلامية. وفي نفس الوقت يتفقون مع تلك المنظمات في إرسال الطلاب (منحة دراسية) إلى جامعات إسلامية مثل السعودية ومصر والسودان إلخ...

خلاوى تحفيظ القرآن الكريم:

الخلوة هي مؤسسة تهتم بتدريس القرآن للأطفال والشباب وغيرهم من المسلمين. وأهل السنة والجماعة لديهم خلاوى في جميع المحافظات تقريباً، ولكنهم يستأجرون المباني للخلاوى. وتمويل تلك الخلاوى يأتي من جزيرة موريشيوس، لأن هم الذين يهتمون أكثر بهذه الخلاوي، ولديهم إمكانيات لدعم المسلمين في مدغشقر. وهذه الخلاوى تُخرِج أكثر من ٩٠ حافظا سنوياً أو كل سنتين، والأرقام تشير إلى هذه الإحصائيات:

رقم	محافظة	عدد الخريجين سنوياً
٠١	ماجونغا	١٠
٠٢	أنتاناريفو	٢٠
٠٣	تاماتاف	٢٠
٠٤	توليارا	١٠
٠٥	ديجو	٣٠
المجموع		٩٠

والمتخرجون في تلك الخلاوى ينتشرون في جميع المحافظات والمقاطعات والأرياف ليكونوا أئمةً في المساجد ويأخذون رواتب بسيطة ومتواضعة. وبعض منهم ينتشرون في الجزر القريبة ليقوموا بتلك المهمة. وفي شهر رمضان يسافرون إلى جزيرة موريشيوس ليؤموا الناس في صلاة التراويح. وأغلبهم أيضا يشاركون في المسابقات القرآنية الوطنية والدولية.

المدارس التعليمية المزدوجة التي تقوم بتدريس المنهج الحكومي والدروس الإسلامية:

كما سبق وذكرنا، أن الشيعة هم الذين يمتلكون المدارس التعليمية المزدوجة التي تقوم بتدريس المنهج الحكومي والدروس الإسلامية. ولكن أهل السنة والجماعة لا يزالون في بناء مثل هذه المدارس والمراكز والمستشفيات في بعض المحافظات والمقاطعات. إلا أن هناك بعض المدارس الإبتدائية والإعدادية التي تُشرف عليها جمعية العون المباشر وتقوم بإدخال بعض المواد الدينية من ضمن برامجها التعليمية. ولكن النتيجة لا زالت ضعيفة. ومن المحتمل أن نمتلك مثل هذه المدارس بعد خمس سنوات. والمحافظات التي يتم بناء تلك المشارع فيها هي:

رقم	محافظة - مقاطعة	عدد المشروع
٠١	ماجونغا	٣
٠٢	أنتاناريفو	٤
٠٣	تاماتاف	٣
٠٤	توليارا	١
٠٥	ديجو	١
٠٦	ماروأنتسيترا	١
٠٧	موروندافا	١
٠٨	مانتيرانو	١
٠٩	نوسيبي	١
١٠	أمبانجا	١

وهذه المشاريع كلها تحت إشراف لجنة مسلمي مدغشقر.

الحلول والتوصيات الخاصة بالنهوض بالتعليم الإسلامي في مدغشقر:

نعلم جميعا أن جزيرة مدغشقر كانت دولة إسلامية منذ بدايتها بعد ما هاجر إليها التجار العرب واستقروا في السواحل الشرقية والغربية. ولكن للأسف الشديد نجد الاستعمار لعب دوراً كبيرا في تغيير عقيدة تلك الدولة إلى مسيحية، فهي الآن تُعتبر من أهم الدول النصرانية. من أجل هذا، لا بد من جهود ملموسة من قِبل المسلمين داخل الجزيرة وخارجها. والحلول التي سوف نقدمها

تنقسم إلى قسمين:

١ - **الحلول من الداخل:** على جميع المسلمين الذين يقومون بالدعوة أو بتعريف الإسلام للمواطنين، ألّا يقتصروا على المساجد أو المراكز الإسلامية، ولكن يُوسعوا مجال دعوتهم عن طريق جميع الوسائل المتاحة وخاصة وسائل الإعلام وغيرها. ويمكننا أن نلخص ذلك في النقاط التالية:

أ - كتابة تاريخ مدغشقر الصحيح وتصحيح بعض الأفكار التي نشرها الغرب حول تاريخ الإسلام والمسلمين الملاغاشيين. لأن هؤلاء الغربيين وخاصة الفرنسيين يُؤرخون تاريخاً للجزيرة ويغيرون بعض النقاط الأساسية.

ب - كتابة كُتيبات تتحدث عن الإسلام عامة وتشرح النقاط التي يتهمون بها الإسلام والمسلمين مثل: قضية الإرهاب، حقوق الإنسان وخاصة حقوق المرأة، والحكمة من تعدد الزوجات وغيرها من القضايا التي تُشغل الرأي العام حول الإسلام، ثم توزيعها على المواطنين.

ت- استخدام كل الوسائل المتاحة لإعلام الناس عن تاريخ مدغشقر وعن الإسلام أيضا. لله الحمد لدينا الآن برنامج أسبوعي في التلفزيون والإذاعة الحكومية لشرح عقيدة أهل السنة والجماعة. ولكن ليس بكافٍ، لأنه برنامج أسبوعي وليس يوميا. وإذَا نظرنا إلى هؤلاء النصارى، لديهم وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة (تلفزيون – إذاعة - صحف) ويستخدمونها بغرض نشر معتقداتهم وسياستهم. ونحن لا نمتلك ولا تلفزيون ولا إذاعة ولا صحيفة.

ث - بناء المساجد والمراكز الإسلامية في جميع أنحاء الجزيرة.

ج - إرسال بعض الطلاب المتميزين إلى الدول العربية والإسلامية ليتعمقوا ويتخصصوا في العلوم الشرعية.

ح - توظيف الطلاب المتخرجين من الدول الإسلامية لأن الحكومة لا تَعترف بشهاداتهم، وهنا فرصة للشيعة أن يصطادوا هؤلاء الخريجين.

٢- الحلول من الخارج: تَقدم الإسلام في مدغشقر، ليس فقط مقصوراً على الذين يقيمون في تلك الجزيرة، ولكن على الجميع أن يقدموا بقدر استطاعاتهم لإخوانهم الملاغاشيين. في مجالات نلخصها في النقاط الآتية:

أ - على المنظمات الإسلامية أن تقدم للمسلمين الكتب الإسلامية بأنواعها

المختلفة، كتب السيرة، كتب تتحدث عن الفقه، كتب العقائد، الأخلاق إلخ...

ب - على المنظمات الإسلامية أيضا أن تُسهل أو تتوسط لتسهيل الوصول إلى المنح الدراسية للطلاب المتميزين بالجامعات الإسلامية.

ث - على المنظمات الخيرية التكفل ببعض الدعاة الذين لم يجدوا وظائف حتى لا يتعاملوا مع الشيعة.

ج - على الحكومات الإسلامية إقامة العلاقات الدبلوماسية بينها وبين مدغشقر حتى تتبادل الثقافات ويسهل إيصال أفكار إسلامية وغيرها.

ح - على الحكومات الإسلامية أيضا أن تنشيء مركزاً للثقافات في مدغشقر بعد فتح العلاقات الدبلوماسية.

هذه نماذج من الحلول بالداخل والخارج وعلى الجميع أن يقوموا بدورهم لعل الله يفتح هذا البلد أو يعيدها إلى حالها السابقة بإذن الله.

المصادر والمراجع:

مدغشقر - حقائق البلد - خبرات جوواي في السفر.
جمعية العون المباشر.
اللجنة العليا للمسلمين في مدغشقر.
مركز الإحصائيات الملاغاشية.
مجلة التاريخ الإفريقي.